المحاضرة الحادية عشر

النظريات الراديكالية والصراعية (النقدية).

(النشأة–التطور)

أهدافها:

– تعريف الطالب بالنظريات الراديكالية والصراعية وأهم روادها واسهاماتهم، وبنشأتها وأهم المراحل التي مرت بها من خلال ما طرحه روادها وممثليها في مراحلها المختلفة حسب الازمنة والامكنة.

1–النشأة والتطور:

ترتبط النظرية النقدية بمعهد البحوث الاجتماعية الذي تأسس في ألمانيا عام 1923وضم في عضويته تيودور أدورنو، وماكس هوركهايمر، وهربرتماركيوز، وفريديركبولوك، وليو لوونيشال، والتربنيامين، ويعد هابرماس من أهم ممثلي النظرية النقدية المعاصرين، وهو تلميذ لأدورنووهوركهايمر... وقد حاولت النظرية النقدية – كما طورتها مدرسة فرانكفورت الأصلية– تفسير سبب عدم حدوث الثورة الاشتراكية التي تنبأ بها ماركس في منتصف القرن التاسع عشر كما كان متوقعا، ويرى ماركيوزوأدورنو وهو كهايمر أنه كان يتعين عليهم إعادة بناء منطق الماركسية ومنهجها من أجل تطوير ماركسية ذات صلة بالرأسمالية الناشئة في القرن العشرين، ولم يكن في اعتقادهم أهم يشجعون الفهم الأساسي لماركس للرأسمالية كنظام اجتماعي متناقض مع نفسه حول تلك القضية بعنوان النظرية التقليدية والنظرية النقدية وضح فيها بلغةلا لبس فيها المعالم الأساسية للنظرية النقدية، وقد حاول منظرو مدرسة فرانكفورت – خاصة من ساروا على نهج الماركسي المجري جورج لوكاش (1971)– ربط التحليل الاقتصادي بالتحليل الثقافي والايديولوجي لتفسير سبب عدم حدوث الثورة التي توقعها ماركس. ويؤمن منظرو فرنكفورت – شأنهم في شأن لوكاتش الذي

استخدم مصطلح التشيؤللإشارة الى الاغتراب العميق في الرأسمالية المتأخرة **(مصطفى خلف عبود، مرجع سابق، ص 514)**.

ولعل أفضل تعريف للتشيؤ هو تحول الصفات الانسانية إلى أشياء جامدة واتخاذها لوجود مستقل واكتسابها لصفات غامضة غير إنسانية، وهذه الفكرة تشكل نقدا أخلاقيا قويا للنظام الرأسمالي، يجعله نظاما يحول البشر إلى أشياء يمكن أن تباع وتشترى، والمثال المفضل هنا هو علاقة الزواج، حيث يقوم الزوج بشراء المتعة الجنسية والخدمات الأخرى من المرأة مقابل إعالتها فوق مستوى سد الرمق عادة ولكن دون الوصول إلى مستوى الرخاء ورغد العيش، وقد يمكن القول إن قيمتها تعتمد على جاذبيتها وعلى طاعتهاوقدرتها على الطهي أو على الثروة التي سترثها من أبيها وبالمثل فأنا أبيع نفسي سلعة إلى صاحب عملي**(أيان كريب، مرجع سابق، ص274)**.

وعليه" فيميل علماء الاجتماع الذين يطبقون نظريات الصراع إلى التأكيد على أهمية البنى في المجتمع مثلما يفعل الوظيفيون كما أنهم يطرحون نموذجا نظريا شاملا لتفسير عمل المجتمع. غير أن أصحاب النظريات الصراعية يرفضون تأكيد الوظيفيين على الإجماع، ويبرزون بدلا من ذلك أهمية الخلاف والنزاع داخل المجتمع، ويركزون بذلك على قضايا السلطة والتفاوت والنضال، ويميل هؤلاء إلى أن المجتمع يتألف من مجموعات متميزة تسعى إلى تحقيق أهدافها الخاصة، ووجود هذه المصالح المنفصلة يعني أن احتمال قيام الصراع بين هذه الجماعات يظل قائما على الدوام، وأن بعضها قد ينتفع أكثر من غيره من استمرار الخلاف.**(أنتوني غندر، 2005، ص 75)**.

لذا فهميهتمون باستمرار" إلى دراسة مواطن التوتر بين المجموعات المسيطرة والمستضعفة في المجتمع، ويسعون إلى فهم الكيفية التي تنشأ بها علاقات السيطرة وتدوم. ويعزو كثير من منظري الصراع آراءهم إلى ماركس الذي أكد في مؤلفاته على الصراع الطبقي، إلا أن بعضهم ينوهون بالأثر الذي تركه فيبر على توجهاتهم،يرى دارندورف أن

المفكرين الوظيفيين يقصرون دراستهم على جانب واحد من المجتمع–أي نواحي الحياة الاجتماعية التي يتجلى فيها الانسجام والتوافق. وما يعادل أهمية تلك الجوانب، أو يفرق أهمية، هو النواحي الأخرى التي يميزها الصراع والاختلافوينتج الصراع، كما يقول دارندورف، بشكل أساسي عن الاختلاف والتعارض بين مصالح الأفراد والجماعات على السواء، وقد اعتقد ماركس أن اختلاف المصالح وقف على الطبقات، غير أن دارندورف يعزوه بصورة أوسع إلى الاختلاف على السلطة والقوة، وفي جميع المجتمعات ينشأ الخلاف والنزاع بين من يملكون السلطة من جهة، ومن يتم إقصاؤهم عنها من جهة أخرى. أي بين الحكام والمحكومين **(أنتوني غندر، 2005، ص 75)**.

ولقد تأثر هابرماس بكل من "أودرنو" و"ماركيوز" فقد انطلق من فرضيتين كنا منبعا للإطارالمعرفي لمدرسة فرانكفورت. الاولى: أن الفكر يجب أن ينفصل عن معضلات الحياة الاجتماعية، والثانية: أن الفكر الفلسفي والاجتماعي يجب أن يكون له دورا نقديا أو أن يتحول إلى برنامج منهجي عقلي ونقدي، ومن ثم فقد كرس جل أعماله لنقد هيمنة المؤسسات على الوعي الفردي والجماعي وسلبها لهذا الوعي. إن النمو المؤسسي يترك تأثيرا بالغا على حياة الأفراد التلقائية أو العادية **(أحمد زايد،2003، ص 55)**.

ولعل أبرز الإسهامات المنهجية التي مازالت النظرية النقدية تقدمها للعلم الاجتماعي هي توجيه أنظار الباحثين الاجتماعيين الامبريقيين إلى الافتراضات التي تشكل أساس نزعتهم الامبريقية. ويشير هوركهايمر وأدورنو في كتابهما "جدل التنوير" (1972) إلى أن الاجتناب الظاهري للقيم يعد –في بعض الاحيان–أقوى صور الالتزام القيمي مما يجعل المزاعم الامبريقية تبعد عن الاستبطان والنقد الذاتي الصارم، وبهذا المعنى يمكن تطبيق تحليل مدرسة فرانكفورت لعلم الأساطير والأيديولوجيا على العلم الاجتماعي الوضعي الذي يفهم منه ظاهريا أنه يتسامى عن الأساطير والقيم على الرغم من أن الأفكار المنهجية المهنية عليه أفكار أسطورية في جوهره **(مصطفى خلف عبود، مرجع سابق، ص 514)**.